

427  
المسائل  
شجاع الملك فيصل هانف ٤٢٢٩١هـ  
ص.ب ١٣٧ الإصدار الثاني ١١٤١١  
الرياض - المملكة العربية السعودية

# العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري  
صاحبها ورئيس تحريرها: محمد التمايز

للإشتراك (فني) ١٠٠ ريال للأفراد و٢٠٠ ريال لفورم  
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة  
تم الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٢/١ س ٢٣ رجب/شعبان ١٤٠٨هـ - آذار/نيسان (مارس/أبريل) ١٩٨٨م

من ذكريات الرحلات :

## بين ميونخ وفيينا

- ٢ -

في مدينة فيينا :

وفي صباح الخميس العاشر من رمضان ١٤٠٧هـ (٧/٥/١٩٨٧م) كان الوصول إلى فيينا ، والنزول في فندق (دي فرانس) ومع أن الصديق الكريم الأستاذ عبدالله الحيال ممن عرف هذه المدينة حق المعرفة ، إذ أقام فيها سنواتٍ سفيراً لبلادنا ، وتردد عليها في كثير من رحلاته وأسفاره ، إلا أن اختيار ذلك الفندق ينطبق عليه قول المعري :

وقَدْ يُخْطِي الرَّأْيَ امْرُؤٌ وَهُوَ حَازِمٌ كَمَا اخْتَلَّ فِي وَزْنِ القْرِیضِ عَبِيدُ  
لَمْ نُطَقِ البَقَاءَ فِيهِ سِوَى اللیلة التي اضطرنا عدم وجود غيره لقضائها فيه ، وفي الصباح كان الانتقال إلى فندق (هلتن) ولا تسأل عن أجور الفنادق في هذه المدينة ، بل عن ارتفاع تكاليف المعيشة فيها بصفة عامة بالنسبة للبلاد الأوربية .  
وذُو الشُّوقِ القَدِيمِ وإن تَسَلَّى !! :

وفي الطريق إلى الفندق - وقبل اختيار المنزل - كان المرور بالمكتبة العامة . كنت قد عرفتُ هذه المكتبة قبل بضعة عشر عاماً ، واطَّلَعْتُ على بعض مخطوطاتها ، بل صَوَّرَ لي منها مجلداً يحوي القسم الثالث من رحلة عبدالغني

الناقلي « الحقيقة والمجاز » وهو القسم المتعلق بالحجاز ، ونشرت مقتطفات منه في مجلة « العرب » س ٢ ص ٤٨٦ ، ٦٥٢ ، ٨٣٦ - ثم علمت أن زميلي في مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة الأستاذ عارف النكدي يقوم بتحقيق الرحلة كاملة ، فتوقفت عن الاستمرار بنشر ما أردت نشره ، وبعد وفاة الأستاذ عارف - رحمه الله - قبل بروز عمله فيه اقترحت على أخي الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي صاحب ( دار الرفاعي للطباعة والنشر ) القيام بنشر ذلك القسم ، وقدمته له ، بعد تحقيق الأصل بمقابلة نسختي منه بأجود مخطوطتين اطلعت عليهما من الكتاب ، هما مخطوطة مكتبة الحرم المكي ، ومخطوطة المكتبة العامة في فينا ، ومع أن الكتاب نُشرَ مصوراً عن مخطوطة دار الكتب المصرية - بعد ذلك - إلا أنه لا يزال بحاجة إلى نشرة محققة ، يرجع فيها إلى المخطوطتين المذكورتين اللتين هما - بدون شك - أتمن وأصح من مخطوطة دار الكتب المصرية .

حين مررت بالمكتبة العامة عاودني الحنين إلى ما ألفتُه ، وإن كنت قد فقدت الآن كثيراً من بواعث ذلك الحنين ، وضعت في نفسي الرغبة القوية التي كثيراً ما حفزتي ودفعني إلى إرهاب الجسم ، وتحمّل كثير من المشقات في سبيل الوصول إلى إحدى المكتبات التي قد أجد فيها ما أطلع للاستفادة منه من مؤلفات :

وَدُو الشُّوقِ القَدِيمِ وَإِنْ تَسَلَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى العَاشِقِينَ  
 اهتديت إلى باب المكتبة التي انتقلت من مقرها القديم إلى مكان بجواره ، وكان المرشد إنساناً فاضلاً ، فلم يتركني - حين علم بأنني أبحث عن القسم العربي من المكتبة - حتى أوصلني إليه في الدور الثاني . فإذا الذي فتح لي الباب أخ عربي ، مرحباً ، مشيراً بالجلوس على كرسي في مدخل الغرفة ، ولما أوضحت له رغبتني في الاطلاع على فهرس المخطوطات العربية سألتني عن اسمي ، وبعد ذكره قال : لقد أخبرني الأستاذ عبدالله بن حسين الملحق الثقافي السعودي بقدمك ، فأجبتة : ولكنه لم يرني بعد ، ولم يعلم بمجيئي ، فأنا لم أصل إلا أمس ، فقال : إنه علم بأنك في ( ميونخ ) ، وستأتي إلى فينا .

كان الأستاذ الدكتور طَريف السَّمان بي حَفِيًّا ، ومعِي كريما ، فقد قَدَّمَ لي  
الفهرس المكون من مجلدات اكتيفتُ بمطالعة الجزء الذي يجوي أسماء المؤلفات  
الجغرافية والتاريخية ، ولما رغبت الاطلاع على بعض الكتب ذَهَبَ بي إلى المكان  
المُعَدُّ للمطالعة ، وهناك ساعدني بسرعةٍ إحضارِ ما أردت .

وقبل ذلك اتصل بالابن الكريم الأستاذ عبدالله بن عبدالعزيز بن حسين -  
ملحقنا الثقافي في هذه البلاد - فأخبره بأنني موجود عنده ، وسرعان ما أتى إلينا ،  
فازداد به الأُنس والسرور ، فقد توطدت المعرفة بيني وبينه حين كان موظفا في  
المكتب التعليمي في بيروت قبل احتراقها .

كان اليومُ يومَ جُمعة ، وسيدُهب الأخوانِ الكریمان لصلاتها في مسجد المركز  
الإسلامي ، فاكْتفيت بما اطلعتُ عليه من المخطوطات وكان منها :

١ - كتاب « المسالك والممالك » لأبي عُبيد البكري المتوفى سنة ٤٨٧هـ ورقمه  
( MIXT 779 ) نسخة حديثة الكتابة ( مخطوطة سنة ٩٨٩ ) تقع في ( ١٥٧ ) ورقة -  
يبتدئُ القسم المتعلق بالجزيرة من الورقة الـ ( ١٢٨ ) - ذكر ملوك اليمن - وهذا  
القسم قد حققه الابن الكريم الأستاذ الدكتور عبدالله بن يوسف الغنيم ، ونشره  
سنة ١٣٩٧هـ ( ١٩٧٧م ) واعتمد في نشره على مخطوطات أقدم من هذه  
المخطوطة وأجود ، والدكتور عبدالله بحاتة طلعة ، ولا أستبعد أن يكون اطلع  
على هذه النسخة ، ومع ذلك فقد توقعت أن أجد في مطالعتها ما قد يفيد ، إذ  
يَرِدُ في بعض المؤلفات نقولُ عن كتاب البكريِّ هذا لم ترد في مطبوعة الدكتور  
عبدالله مع تَقْصِيهِ ، واستجداته لما اعتمد من الأصول .

ومع سوء كتابة هذه النسخة وكثرة التحريف فيها إلا انني أردت التأكد من  
قيمتها في وقت متسع ، فكان ذلك حين زرت المكتبة مرة ثانية ، عند عودتي من  
ضاحية ( هوف ) في ناحية ( سولزبرج ) في النمسا إلى فينا ، في يوم الأربعاء ٩  
محرم ١٤٠٨هـ ( ١٩٨٧/٩/٢م ) ، ثم بعد ذلك أكرمني الأخ الدكتور طريف  
السمان بصورتها ، وها هو وصفها في طرتها : « كتاب الممالك والمسالك » تأليف  
الشيخ العلامة المحقق أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري القرطبي ، أثابه الله

الجنة ورضي عنه - وفوق هذا في هذه الصفحة : ( وفي نوبة العبد الفقير محرم بن أسد الحسيني القادري . . . . . ذي القعدة سنة ٩٩٩هـ - وفوق العنوان - في الهامش - كتابة فارسية يظهر أنها بيتان من الشعر ، عنوانها ( قطعة ) - الصورة ص ٥ - .

وفي الصفحة : ( توفي عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي المتوفى (؟) سنة ٤٨٧ ) ثم عنوان كتاب مضروب عليه هو : ( وكتاب « الفاخر » لأبي طالب المفضل صاحب الفرا في محاورات العرب ) .

ثم : ( كتاب « المسالك والممالك » لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ انتهى « كشف الظنون » وأيضا : مذكور في « نفع الطيب » في الجزء الثاني صفحة ٣٧٨ - أنه لو ما يفتخر الأندلس إلا بكتاب « المسالك والممالك » لأبي عبيد البكري لكفاه . انتهى .

وأول الكتاب ( ص ٢ بعد البسملة ) : وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت ، القول في مدة عمارة الأرض : عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهم - : أن ذلك ستة آلاف سنة ، وكذلك قال أهل الكتاب ، وأخذوا ذلك أخذًا شرعيًا ، أبو صالح عن كعب : ألفي سنة ، ابن معقل عن وهب مثله . قال ط والأول الصواب ، لرواية ابن عمر عن رسول الله ﷺ ؛ « أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغيب الشمس » وقوله عليه الصلاة والسلام : « بُعثتُ أنا والساعة كهاتين » وجمع ما بين السبابة والوسطى ، وصح عنه - مع ذلك - ما رواه ابن وهب يرفعه إلى أبي ثعلبة الخشني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لَنْ يَنْقُصَ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ » يُرِيدُ الْيَوْمَ الَّذِي هُوَ مِقْدَارُ أَلْفِ سَنَةٍ ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْمَاضِي إِلَى ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ سِتَّةَ أَلْفِ سَنَةٍ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ قَوْلٌ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ الْآخِرِ ، وَأَصْحَحُ مَا رُوِيَ فِي التَّارِيخِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ط س أَنَّ مِنَ الطُّوفَانِ إِلَى مَوْلِدِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى . . . (١) عَلَيْهِ السَّلَامِ أَلْفٌ وَتِسْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَمِنْ مَوْلِدِ إِبْرَاهِيمَ

# كتاب الملك والملكوت

تأليف الشيخ الامام العالمين  
 العلامة المحقق ابي عبيد الله  
 ابن عبد العزيز البكري  
 القريظي اثنائه الله  
 الحجة ورضي  
 عنه

هذا الكتاب من كتب  
 الفقه الحنبلية  
 في بيان حكم العترة  
 من آل البيت  
 رضي الله عنهم  
 والثناء لهم  
 الى الابد  
 آمين

# وكتاب الفائح لا يخط اللفظ ضال في محاور العرب

كتاب الملك والملكوت  
 ابن عبد العزيز البكري الأندلسي  
 انتهى كتابه الظنون  
 ورضي مذکور في نزهة  
 انه لو ما يفتي الأندلس  
 لا يرحميه ولا يكرمه

عليه السلام إلى خروج موسى من مصر ببني اسرائيل إلى التيه الذي مات فيه خمس مئة سنة وخمس وستون سنة ، ومن ذلك الوقت إلى أربع من ملك داوود وهو وقت ابتدائه لبناء بيت المقدس إلى ملك الاسكندر سبع مئة سنة وسبع عشرة سنة ، وبين مولد المسيح إلى بعث محمد ﷺ خمس مئة سنة ، وإحدى وستون سنة ( إلى آخر ماذكر - الصورة ص ٧ - .

وآخر النسخة ( الورقة ١٥٦ / أ ) .

والتيه مقدار أربعين فرسخاً ، وقيل : إنه تسع فراسخ في مثلها ، وأول حدّه ما بين قبر أبي حمير وبطن نجد<sup>(٢)</sup> ، وفيه مات موسى وهارون - عليهما الصلاة والسلام - وبطن نجد قرية ليس فيها ولا شجر<sup>(٣)</sup> ، يسكنها نفر من الناس ، ويقال لها أيضا : بطن نخل ، لسواقي تسقي<sup>(٤)</sup> على الناس فيه تراب دقيق كأنما نُخِلَ بمنخل .

كامل بحمد الله وعونه ، ولطفه ومِنِّه ، وجوده وفضله وتوفيقه ، وحوله وقوته وكرمه ، وكان الفراغ من كتب هذه النسخة يوم الأحد المبارك ، عشرين شوال من شهور سنة تسع وثمانين وتسع مئة من الهجرة النبوية والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم في آخر الكلام : ( في نوبة سيدنا ومولانا سمي إمام المرسلين وسبطه ) - الصورة ص ٩ - .

ويقع الكتاب في ١٥٧ ورقة ( ٣١٤ ) صفحة في الصفحة ٢١ سطرا سوى الأولى ففي طرتها عنوان الكتاب ، والأخيرة ليس فيها سوى ١٦ سطرا بخط النسخ الحسن والصفحة الثانية - أول الكتاب - مزوقة - مذهبة - بنقش في أعلاها ، ومحاطة بخط عريض مذهب .

وكان مما طالعت من مخطوطات هذه المكتبة في المرّة الأولى حين زرتها :

٢ - كتاب « ترويح القلب الشجي » ، في مآثر عبدالله باشا الجتّه جي « كتاب رقمه ( II56 ) في ٧٧ ورقة من القطع الصغير ، ومؤلفه عمر بن محمد بن إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ  
عَلَّمَ سَعِيدُ بْنُ جَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ ذَلِكَ  
سَنَةَ الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَأَخَذُوا ذَلِكَ أَخْذًا  
شَرِيحًا أَبُو صَالِحٍ عَنْ كَعْبِ بْنِ سِنَةَ . بن معقل عن وهب مثله  
والأول الصواب لرواية بن سعد عن رسول الله صلوات  
الله عليه وسلم أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العَصْرِ الِغَيْبِ  
وقوله عليه الصلاة والسلام لا تبعث لنا والساعة كهاتين . وجمع  
فأما بين السبابة والوسطى . وصح عنه مع ذلك ما رواه بن وهيب  
برفعه إلى أبي ثعلبة الحنفي أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَقُولُ لَنْ يَفْضَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ صَغِيرٍ مَرِيدٍ الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ  
مَقْدَارُ الْفَسَادِ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْمُنَافِقِي  
الِي ظَهَرَ الْإِسْلَامَ سَنَةَ الْإِسْلَامِ سَنَةَ . وقد روي عنه صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْقَوْلِ الْآخِرِ وَأَصْحَابُ مَا رَوَى  
فِي التَّارِيخِ بِحَقِّ مَا ذَكَرَهُ . ان من الطوفان إلى مولد إبراهيم  
إلى خروج عليه السلام الف وتسع وسبعون سنة . ومن مولد  
إبراهيم عليه السلام إلى خروج موسى من مصر مئتي سنة إلى  
إلى النبي الذي مات فيه مئتي سنة وخمسة وستون سنة  
ومن ذلك الوقت إلى ربع من ملك داود وهو وقت تداريه لبنايت  
الذي روي ملك الاسكندر سبع مائة سنة وسبع عشرة سنة  
ومن مولد المسيح بن مريم إلى بعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الوكيل ، والنسخة حديثة الخط .

وقد حفزني لمطالعة هذا الكتاب تعلقه بأحد أمراء الحج الشامي ، من ولاية الأتراك في القرن الثاني عشر الهجري ، وهو عبدالله باشا (جته جي) - أي الفارس - الذي كان والياً لدمشق سنة ١١٧١ هـ ومات أو قتل سنة ١١٧٤ وقد تولى إمارة الحج الشامي سنتي ١١٧١ و١١٧٢ هـ وكان سيء المعاملة للعرب الذين تقع منازلهم وبلادهم في طريق الحج ، وقد نشرت في مجلة « العرب » س ١٢ ص ٣٩٦/٣٥٣ - رسالة عنوانها « النَّفْحُ الْفَرَجِي فِي الْفَتْحِ الْجَتَّةِ جِي » للسيد جعفر بن حسن البرزنجي المدني المتوفى سنة ١١٧٧ - تتعلق بأمر الحج المذكور ، وتصف جوانب من مواقفه مع العرب ، مما هو من صميم تاريخ بلادنا - كهذه الرسالة - .

٣ - وطالعت مخطوطا عنوانه : « البدر الطالع من الضوء اللامع » ومؤلفه أحمد ابن محمد بن محمد بن عبد السلام المنوفي الشافعي يقع في ٢٣٧ ورقة ، في التراجم ورقمه (I33) لخص فيه مؤلفه تراجم من كتاب السخاوي ، ولم يضيف جديدا .

٤ - كما اطلعت على كتاب بعنوان : « البدر السافر وتحفة المسافر » في التراجم أيضا ، يبتدئ بالأسماء المبدوءة بحرف العين ، في ٣٠٩ من الورق ، جاء في آخره : ( وكانت وفاته بالاسكندرية ، في السابع عشر من شعبان سنة ٦٦٢ ، وقد اتفق في هذا التصنيف شيء عجيب ، ابتدأه بصالح وختمته بصالح ، فكان من الاتفاق الغريب ، وأنا استغفر الله فيما فرط . . . فرغت من تأليفه يوم عرفة سنة ٧٤٢ بالمدرسة الصالحية ، في القاهرة المعزية . . ) .

أبو هريرة وكوجكا :

لا صلة لهذا باسم الصحابي الجليل عبدالرحمن بن صخر الدوسي الزهراني ، ولا برواية الكاتب التونسي محمود المسعدي « قال أبو هريرة » وإنما هو اسم قصة كتبها أديب عراقي معروف ، هو ذو النون أيوب ، وهي تصور فترة من حياته ، عاشها متنقلا بين مدينتي (براغ) و(فيينا) فوصف ما عانى من صروف الدهر



٦

مصر في نيران المدينة وصلاحها تقابله عمرو وهو القلزم  
فكان سعر المدينة كسعرهم ولم يزد ذلك مصر الا صلاحاً  
والبنة مقدار اربعين فرسخاً وقيل انه سبع فراسخ في مثلها واول  
حدّه ما بين بئر ابي حنبل و بطن جدوة فيه مات موسى وهارون  
عليهما الصلاة والسلام و بطن جدوة ليس فيها ولا شجر  
يسكنها نفر من الناس ويقال له ايضاً بطن بخل لسواك سقي

• على الناس فيه تراب رقيق لا يخال بمخجل • كل محمد

• دعة و لطفه و منته و جوده و فضله و ترفيقه •

• و حوله و قوته و كرمه • وكان الفراعنة تركت هذه النخلة

• يوم الاحد المبارك عشرين شهر شوال

• من شهر سنة سبع وثمانين و تسع مائة •

• من الحجج النبوية و الحمد •

• و حبنا الله و نعم الوكيل •

• و لا حول و لا قوة •

• اللهم اعلم اني •

• اعلم اني •

• اعلم اني •

• اعلم اني •

وتقلباته ، ومن تغير أنماط الحياة في هاتين المدينتين ، واختلاف النظم الاجتماعية فيها ، ولهذا أضاف إلى العنوان ( قصة مدينتين ) .

ماكنت أهوى قراءة القصص ، ولقد حاولت ذلك أثناء الدراسة في ( المعهد السعودي ) في مكة في عشر الخمسين من القرن الماضي ، فاقنيت مجموعة من قصص جرجي زيدان ( روايات تاريخ الإسلام ) وحاولت أن أكمل قراءة بعضها ، فكان يدركني السأم فألقي بالقصة لأتناول كتابا غيرها ، فلماذا أكملت قراءة هذه ، لهذا الكاتب العراقي ، بل حرصت على الاجتماع به ؟!

في مساء هذا اليوم ( ١١/٩/١٤٠٧هـ - ٨/٥/١٩٨٧م ) زارنا الأستاذ طرَيْفُ السَّمَان ، وله بالأستاذ عبدالله سابقُ معرفة ، وهو ذو صلة بالمركز الإسلامي في فينا الذي كان للشيخ عبدالله حين كان سفيرا في هذه البلاد أثرٌ قويُّ في الإسهام في إنشائه ، فجرى الحديث بينهما حوله ، فكان أن ذكر الشيخ الخيال أن لديه مجموعة من الكتب ، ومن بينها عددٌ من المؤلفات باللغة الألمانية ، اشتراها مع أثاث المنزل الذي اشتراه ، ولا يعرف محتواها ، وهو يرغب إهداءها للمركز الإسلامي ، لتضم إلى مكتبته ، ودعا الدكتور السمان للاطلاع عليها ، فكان أن ذهبتُ في صباح اليوم الثاني مع الشيخ عبدالله للاطلاع على تلك الكتب وغيرها ، فوقع نظري على مجلد صغير ، غريب في مظهر غلافه ، وفي شكل طباعته ، فقد طبع بطريقة التصوير بعد كتابته بخط اليد ، كتابةً ليست جيدة ، وزُينَ برسوم غير متقنة ، على ورق خشن غير صافي اللون ، وبينما أنا أقلب صفحاته إذ التقى نظري بجملة - استوقفتني - بل شدتني إلى الاسترسال في مطالعة الكتابة هي : ( لقد أخذتُ أَتَصَيِّدُ الأدوية الحديثة المقاومة لِتَخَثُّرِ الدَّمِ ، الفاتحة للأوعية والشرابين ) إلى : ( إنَّ التفكير في أمور الدنيا وتوقُّع الأذى ، وكثرة الحذر هي التي تنخرُ جسم الإنسان وعقله كما ظهر لي ) . آه ! لقد كان ما قرأت ينطبق عليه المثل العربي القديم ( حَرَكْ لها حُورَها نَحْنُ ) . إنَّ الكاتب مثلي مُصابٌ بمرض القلب ، ثم هو يتصَيِّدُ الأدوية لعلاج ما أصابه كما أتصيدها ، وفوق ذلك فله من تجاربه الطويلة ماقد يفيد أمثالي لمقاومة ذلك الداء .

لم أضع القصة من يدي حتى استرحتُ إلى أنني بحاجة إلى إكمالها ، إذ وجدتُها ذات أسلوب يغير ما اعتاد القصاصون إبراز قصصهم به من حيث الإغراب في الخيال ، والتعمق في الرمزية ، والبعد بالقارئ عما ألفه من واقع حياته ، إنها أقرب إلى سرد حوادث أقرب ما تكون إلى الواقع ، بعبارات واضحة ، فهي أشبه بالمذكرات اليومية منها بالقصص الخيالية ، بل هي كذلك ، لولا ما تصوره من بعض جوانب حياة كاتبها ، فتبدو تلك الجوانب أغرب من الواقع المألوف ، وما كان هذا الكاتب مُبعدًا عن الحقيقة إذ قال - وهويتحدث عن هذه القصة - : بأنه أهداها لأحد السفراء ، فأسهرته ليلة كاملة ، ولم يستطع إلقاءها من يده حتى أكملها ، وطالب كاتبها بدواءٍ ضدَّ أرقه تلك الليلة<sup>(٥)</sup> .

ولعل من بواعث الرغبة في إكمال قراءتها تلك اللمحات التي تبدو من خلال شرح مواقف الكاتب أثناء إصابته بالمرض ، أو اتصاله بأحد الأطباء الذين كان يسخر من النصائح المشددة التي يوجهونها إليه ، فيقرأ في بعض الكتب بطلانها ، حتى وفق لطبيب حذره من الإفراط في أي شيء ، وأكد له أن الإنسان الحذر العاقل يستطيع أن يعالج نفسه أكثر من الطبيب ، إذا زود بالمعلومات الكافية عن مرضه ، ونصحه بإزالة ما يشعر به من قلق ، وما يعتريه من كثرة الهموم ، وبممارسة أي عمل يهواه للتخلص من التفكير فيما يزعجه ، فاختر الرسم والكتابة ، فنصحه بالاشتغال بهما ، قائلاً : ربما كانا لك أحسن من كل دواء . ثم وصف ما اعتراه من الاطمئنان بقبول نصيح هذا الطبيب .

لأدع هذا الجانب من القصة الذي قد يكون ألصق جوانبها بنفسي ، إنها تصور حياة رجل كان في صغره يألف القطط ، ويُعنى بتربيتها ، وقُلَّ أن يشاهده أحد من لِدَاتِهِ في صغره إلا ومعه واحدة منها ، ولهذا لزمه لقب ( أبي هريرة ) ثم طَوَّحَتْ به الحياة خارج وطنه في مدينة ( براغ ) فعرف إحدى فتياتها ، وهي في سنِّ إحدى بناته ، ولكنها تألفا حتى توطَّدتِ العلاقة بينهما بالزواج ، مع ما بينها من الفوارق الاجتماعية والفكرية ، ولكن السعادة لا تخضع غالباً لما هو متعارف بين عالم الإنسان من فوارق ، وحاول كاتبُ القصة أن يجلِّوه للقارئ خلال استعراضه

لحياتها حقبةً طويلة من الزمن ، منتقلا بين مدينتين تخضعان لنظم من الحياة في غاية التباير والاختلاف ، فلم تؤثر فيما بينهما من تألّف وتواؤمٍ وسعادةٍ ، ولا يزالان ينعمان بكل ذلك .

لقد اجتمعت ليلة الثلاثاء ( ١٥/٩/١٤٠٧هـ - ١٢/٥/١٩٨٧م ) في فندق ( هِلْتُنْ ) بالأستاذ ذي النون أيوب ، ومعه أليفةٌ حياته وقرينته ، التي دعاها ( كوجكا ) أي قطة فغبطت الرجل على ما يبدو به من تفاؤل ومرح - مع كونه في عشر التسعين من عمره<sup>(٦)</sup> - وعلى ما تحوطه به زوجته من الرعاية والعناية ، وعلمتُ أنّ حكومته - بعد أن ذاق من تقلب الحكومات في بلاده مذاق من قطيعة وحرمان من الحقوق - شملته برعاية خاصة ، أعادت لنفسه الطمأنينة في حياة رخيّة ، كما نشرت جميع آثاره التي طبعها بين سنتي ١٩٣٦ و ١٩٧٠م في أربعة مجلدات الثلاثة الأولى تضم مجموعة من القصص والروايات ، والرابع يحوي مختارات من مقالاته المنشورة ، وله كثير غير ذلك من القصص المؤلفة والمترجمة مما لم ينشر ، وهو دؤوب على الكتابة ، ويرى هذا استمرارا لبقائه ، وأنه لا معنى للحياة بدون ذلك ، وهذا ما دفعه إلى محاولة إيجاد الوسيلة التي تمكنه من نشر مؤلفاته في ( فينا ) حيث اقتنى آلة طبع صغيرة ، من نوع ماكان يعرف باسم ( البالوظة ) التي تطبع بواسطة التصوير ، فيكتب مايراد طبعه بصورة واضحة ، ثم يصور بطريقة خاصة يسهل بها إبراز نسخ عديدة منه ، وكذا فعل بقصته « أبوهريرة وكوجكا » وبعض مؤلفاته ، ومنها بعض أجزاء مذكراته « ذو النون أيوب ، قصة حياته بقلمه » وقد نشر منها سبعة أجزاء صغار ، عن ذكريات طفولته من سنة ١٩٠٨م حتى سنة ١٩٥٨م .

ومن الطريف أن الأستاذ ذا النون كان تلك الليلة يبدو مسرورا مبتهجا ، فقد زاره منذ أيام الأستاذ إساعيل عارف<sup>(٧)</sup> وهو من أصدقائه ، ومعه ثريّ عراقيّ معروفٌ ، يدعى حميد نجيب ، فوعده الثريّ بأنه سيتولى نشر جميع مؤلفاته ومؤلفات صديقه الأستاذ عبدالحق فاضل ، أحد أدباء العراق المعروفين - إذ سينشئ مطبعة في إحدى المدن الأوربية لتلك الغاية ، ويقدم المؤلفات مطبوعة للأدبيين ليستفيدا بريعتها .

عوداً إلى المكتبة العامة في فينا :

ومن أنفس ما طالعت في هذه المكتبة من المخطوطات مجموع يضم رسائل للأصمعي ومعها رسالة لِقَطْرُب ، كان الأستاذ الدكتور طَريف السَّان قد تحدّث عن هذا المجموع في بُتَيْب ( كتالوج ) أُصْدِرَ عن معرض للفن الإسلامي الذي أقامته المكتبة العامة في فينا منذ بضع سنوات ، ونُشِرَ في الكتيب النموذج مصوراً لإحْدَى صفحاته ، فاستهواني حسن الخط وقدمه للاطلاع على ذلك المجموع ، فإذا هو على درجة من الأهمية بحيث استرسلت في تصفحه كاملاً ، ولم أقنع بالوصف الوارد له في الكتيب الذي تحفني به الدكتور السان ، ولكنني سأورد بعض ما فيه : ( أوراق شرقية قديمة بنية اللون سميكة ٧٥ ورقة ( ١٤٩ صفحة ) مقاس ١٦٢×١٤٠ م بخط النسخ المتطور من الكوفي في حوالي منتصف القرن الرابع الهجري ، مشكل بالحركات والنقط ، ونهاية الجمل مميزة بدائرة بداخلها نقطة .

وقيمة هذا المجموع لا تكمن في كونها علمية هامة ، ولكنها كبيرة من ناحية الخط ، إذ خط هذه المجموعة يعتبر مثلاً هاماً لتطور الخط من الكوفي القديم إلى الخط المستدير النسخي ) . هذا ملخص ذلك الوصف .

وأضيف إليه : إن الكتابة مع جودتها وعناية الكاتب بتشكيل الكلمات قد يقع فيها بعض الأخطاء مما صُحِّحَ بعضه في الهامش ، وقد يخالف الكاتب القاعدة الإملائية المعروفة في كتابة بعض الكلمات كالحاق الألف بعد واو الفعل وإن لم تكن واو جماعية ، وعدم كتابة همزة في الكلمات المهموزة ، وغير ذلك مما سيلاحظه القارئ من النماذج المصورة هنا ، وأعود لتصفح المجموع :

صفحته الأولى تحوي بعد ذكر أحد ملاكه وهو ( عبدالقادر بن عمر البغدادي الكيلاني ) ولعله العالم المعروف صاحب « خزنة الأدب » وغيرها من المؤلفات ، ثم ( هذا مجموع فيه كتاب خلق الانسان ، وفيه كتاب الوحوش ، وفيه كتاب الفُرق ، وفيه كتاب الإبل ، تأليف عبدالملك بن قُريب الأصمعي ، وفيه أيضا كتاب ماخالف فيه الإنسان ، البهيمة لِلْقَطْرُب ، وفيه أيضا كتاب الأضداد عن

الأصمعي) . وهذه الصفحة كتابتها تغاير كتابة الأصل ، فهي حديثة .

أما الأصل فيبدأ بعد البسملة بجملته : ( ما يُذَكَّرُ مِنْ حَمَلِ الْمَرْأَةِ وَوِلادَتِهَا وَالْمَوْلُودِ ، قال أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ : يقال للمرأة في أول ما تَحْمِلُ : نَسِئْتُ وهي نِسٌ<sup>(٨)</sup> ، كما ترى ، فإن اشْتَهَتْ على حَمْلِها شيئاً فهي وَحْمِي ، والمصدر الْوَحْمُ ) ( انظر ص ١٥ ) .

ثم في الورقة الـ ( ٤٠ ) : ( وفي الرَّجْلِ الْعَرَجُ وَالْقَزْلُ ، فَالْقَزْلُ أَسْوَأُ الْعَرَجِ ، يقال : عَرَجَ يَعْرِجُ عَرَجًا ، إذا حدث فيه عَرَجٌ ، وَعَرَجَ يَعْرِجُ عَرَجَانًا ، إذا مشى مشية الْعُرْجَانِ .

ثُمَّ كِتَابُ صِفَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ .

هذا كلام ذكره الأصمعي في آخر صفة خلف الإنسان : ( وما يكون في النساءِ دُونَ الرَّجَالِ الْإِسْكَتَانِ وَالْأَشْعَرَانِ وَهُمَا مَا يَلِي الشَّفْرَيْنِ ٠٠٠ ) الخ .

وبعد خمسة أسطر في الورقة الـ ( ٤١ ) : ( وهي جلدةٌ فيها ماءٌ ينشَقُّ على رأس الولد عند خروجه ، وهو من الناقة السُّخْفِ ، والسَّايِبِ ، والمخاض في البهايم والناس ، ولا يكون الطَّلُقُ إلا في الناس ) .

آخر الكتاب : قال أبو سعيد : ( الضَّرْبُ مِنَ الرِّجَالِ الْخَفِيفِ ) . وبعد ثلاث صفحات ونصف الورقة الـ ( ٤٢ ) : ( وقال رؤية :<sup>(٩)</sup> :

وعاش لَوْ سَأَلْتَهُ أُمَّهُ الْوَسَا أَوْ أُخْتَهُ لَمْ يُعْطِهَا<sup>(١٠)</sup> دَرِيْسًا  
يَأَلِيْتَهُ لَمْ يُعْطَ هَلْبَسِيْسًا وَعَاشَ أَعْمَى مُقْعَدًا سَرِيْسًا  
حَتَّى يَضُمَّ الْوَارِثُونَ الْكَيْسًا

الألوس : الشيء اليسير . والدريس ؛ الثوب الخلق ، والجميع دِرْسَانٌ ،  
ويقال : ماله هَلْبَسِيْسٌ أي ماله شيء<sup>(١١)</sup> ، وهذه كلمة تقال في النفي لا يقال :  
له هلبسيس ، إنما يقال : ماله هلبسيس .

هذا كتاب أسماء<sup>(١٢)</sup> الوحوش وصفاتها .



هذه صفة الحمار ، قال أبو سعيد الأصمعي : هو الحمار والعرير  
والمسحل) . . . الخ .

وفي الورقة الـ ( ٥٢ ) : ( وقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي :  
لَهُ السَّرْحَانُ مَفْتَرِشًا يَدِيهِ كَأَنَّ بَيَاضَ لَيْتِهِ الصَّدِيعُ  
تَمَّ كِتَابُ الْوَحُوشِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ .

كِتَابُ الْفَرَقِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ .

هَذَا كِتَابٌ مَخَالَفٌ فِيهِ الْإِنْسَانُ الْبِهَائِمُ وَالسَّبَاعُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ .

قال : يقال فَمُ الْإِنْسَانِ ، وفيه ثلاث لغات فَمٌ وَفُمٌ وَفِمٌ ) .

ثم في الورقة الـ ( ٥٨ ) : ( تم كتاب الفرق عن الأصمعي .

هَذَا كِتَابٌ مَخَالَفٌ فِيهِ الْإِنْسَانُ الْبِهِيمَةُ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ عَنِ قَطْرِبِ ( ثُمَّ  
كَلِمَةٌ غَيْرُ وَاضِحَةٍ كَأَنَّهَا مُحَمَّدٌ ) .

وفي الهامش بخط قديم مغاير لخط الأصل : ( بدأ بقراءة هذا الكتاب كتاب  
الفرق يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة احدى وستين وثلاثة مئة على الشيخ  
أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي صاعد بن . . . بن زهرون الصابي وسمع  
اسحاق بن أحمد بن عبدالرحمن الكاتب ، والحسن بن ابراهيم ) .

وفي الهامش ايضا : ( حدثنا الفقيه أبو سعيد قراءة عليه ، قال : اخبرنا  
أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، قال : اخبرنا محمد بن الجهم  
أبو عبدالله ، قال : سمعت قطربا النحوي ياملأه علينا سنة خمسين (؟) ومثتين :  
قالوا في مثل الفم من الانسان الفمُ والفمُ والفمُ ) ثم الاسترسال في الكتاب .  
( انظر ص ١٧ ) .

وفي الورقة الـ ( ٩٠ ) : ( وأنشد للطرماح :

كَأَمَّ الْحَبِيبِ لِأَيْرَى النَّاسِ غَيْرَهَا وَغَابَ حُبِينٌ حَيْثُ زَاغَتْ بَنُو سَعْدِ

فَأَخْلَ الْأَيْفَ وَاللَّامِ .





تَمَّ كِتَابُ مَاخَالَفَ الْإِنْسَانَ الْبَهِيمَةَ وَأَحْوَالَهَا عَنْ قَطْرَبِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ .

مرفي أول الورقة الـ ( ٩١ ) بعد البسملة : ( تقول العربُ : قد بان الأمرُ ،  
وأبان ، ونال وانال إذا حان ، وقد نار الأمر ، وأنار إذا وَضَحَ وتبين ، وقد عاضه  
وأعوضه إذا عَوَّضَهُ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ )<sup>(١٣)</sup> . إلى الصفحة الثانية من الورقة الـ ( ٩٤ )  
فتلك الصفحات تحتوي على مجموعة من الأفعال الماضية المجردة التي لا يتغير  
معناها إذا زيدت في أولها الألف ، كما تحوي كلاما حول مخارج الحروف ، مثل  
( إذا جاءت السين وبعدها الطاء أو قاف أو غين أو خاء وإن كان بينها وبين السين  
حرف أو حرفين (؟) ، انقلبت السين صادًا في لغة بني العنبر من تميم ، والعلة في  
ذلك أن السين من مخرج الصاد وهما من حروف الصفير ، غير أن الصاد ) . . .  
الخ .

وفي أول الصفحة الثانية من الورقة الـ ( ٩٤ ) بين السطور بخط مغاير لكتابة  
الأصل : ( بدأ بقراءتي على الشيخ أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي النحوي  
وأنا أنظر في كتابي وأصل الشيخ الذي قرأته على أبي بكر بن دريد يُنظر ( ثم كلمات  
غير واضحة ) الطوسي يوم الثلاثاء لسبع خلون من ذي القعدة سنة احدى وستين  
وثلاث مئة وسمع محمد بن اسحاق الطوسي ، وابن سكرة الهاشمي ، ومحمد بن  
علي الصبريني (؟) .

تَمَّ كِتَابُ الْإِبِلِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ .

قال أبو سعيد عبدالمملك بن قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ : أَجُودٌ وَقَتٌ يُجْمَلُ فِيهِ عَلَى النَّاقَةِ  
أَنْ تُجَمَّ سَنَةٌ وَمُجْمَلٌ عَلَيْهَا فَيَقَالُ : قَدْ أُضْرِبَتِ الْفَحْلُ ، وَأُضْرِبَهَا الْفَحْلُ ) . . .  
الخ .

وفي الورقة الـ ( ١٣٥ ) : ( ويقال فَرَسٌ حَتُّ إِذَا كَانَ سَرِيعًا .

تم كتاب الإبل من تأليف أبي سعيد عبدالمملك بن قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ ، والحمد  
لله كثيرا .



كتاب الأضداد عن الأصمعي .

ثم في أول الورقة الـ ( ١٣٦ ) : ( قال الأصمعي : الْقَرُوُّ<sup>(١٤)</sup> عند أهل الحجاز الطُّهْرُ ، وعند أهل العراق الحيض ، وقال أبو عمرو بن العلاء : يقال : دفع فلانٌ إلى فلانة جاريةً يُقْرءُ بها<sup>(١٥)</sup> ، مهموزة مشددة يعني تحيض عندها وتطهر إذا أراد أن يشتريها ) .

وآخر المجموع في الورقة الـ ( ١٤٦ ) : ( قال امرؤ القيس في الناهل : إِذْ هُنَّ أَقْسَاطُ كَرَجَلِ الدِّبَا أَوْ كَقَطَا كَاظِمَةِ النَّاهِلِ أَقْسَاطُ : قِطَعٌ مِنَ الْخَيْلِ . وَالنَّاهِلُ هَاهُنَا : الْعِطْشَانُ . وَالشَّفُّ : الْفَضْلُ ، يُقَالُ . . .<sup>(١٦)</sup> غَلَامًا عَلَى الشَّفِّ أَي عَلَى الرَّبْحِ وَالْفَضْلُ ، وَيُقَالُ : فُلَانٌ أَشْفٌ مِنْ فُلَانٍ ، أَي أَفْضَلُ مِنْهُ وَأَكْبَرُ سِنًا ، وَتَقُولُ : لَا تُشِفِّ بَعْضَ الْوَرِقِ عَلَى بَعْضٍ لِيَكُونَ رِبَاً ) . ثم ينتهي المجموع . ( انظر ص ١٩ ) .  
وفي بعض الصفحات حواشي منها :

- ١- ق ٦ : ( قال الشيخ أبو محمد الحسن بن علي ) .  
وكذا في ( ق ١٣ ) : ( قال الشيخ أبو محمد ) .
- ٢- ق ٤٢ : ( والمحق الطويل ) وفي الهامش : ( قال أبو محمد : إنما هو المحق بكسر الميم ) .
- ٣- ق ٤٣ : ( والبرم الذي لا يأخذ في الميسر ) أبو محمد : إنما هو الذي لا يدخل في الميسر .
- ٤- ق ٦٨ : ( بلغت قراءة أبي منصور صاعد بن زهرون الصابي ) .
- ٥- ق ٧١ : ( بلغت قراءة أبي منصور صاعد بن زهرون الصابي وسمع أحمد بن محمد الخلال ومحمد بن عبدالصمد . . والمحسن بن إبراهيم الصابي ) .
- ٦- ق ٧٣ : ( بلغت قراءة صاعد بن زهرون واسحاق بن أحمد بن محمد الخلال والمحسن بن إبراهيم وعلي بن محمد الهاشمي ومحمد بن أحمد الخلال ومحمد بن علي الصرسي والحسن بن سبب . . . وعبدالواحد بن أحمد وابنه محمد ) .

ولا تفوت الإشارة إلى أنَّ رسائل الأصمعي التي في هذا المجموع قد نُشِرتْ باستثناء الكتاب الأخير ، فلا أعرف شيئاً عنه ، ولكن مما لا شك فيه أن قَدَمَ خَطَّ هذا المجموع ، وصحة ضبط كتابته ، مما يعين على تصحيح كثير من النصوص المنسوبة إلى الأصمعي في معجمات اللغة المشحونة بالنقول عنه ، ومن هنا تبرز قيمة ذلك المجموع .

لم أكنُ على درجة من الصحة تمكيني من التردد على هذه المكتبة التي تحوي نفائس من المخطوطات .

واطمأنتت حين أخبرني الأخ الدكتور طَريف السَّمان أن الأستاذ الدكتور أحمد ابن محمد الضبيب - وكيل جامعة الملك سعود الآن - سبق أن زار هذه المكتبة حين كانت يتولى عمادة شؤون المكتبات ، وأنه اختار مجموعة من مخطوطاتها ، فصورت على أشرطة ( ميكروفلم ) ضُمَّتْ إلى مكتبة الجامعة - اطمأنتت أن الدكتور الضبيب - وهو الخبير بنفائس المخطوطات - لم يدع منها ماله قيمة دون أن يصوره .

ولن أنسى ما قابلني به الأخ الدكتور طريف السمان من كريم العون والمساعدة ، فقد اكرمني - اكرمه الله - بتصوير ثلاثة من الكتب هي :

١ - « المسالك والممالك » للبكري النسخة الأولى قبل اطلاعي على النسخة الثانية .

٢ - « ترويح قلب الشجي » .

٣ - المجموع الذي يحوي مؤلفات الأصمعي .

حول مدينة فينا :

لم يدع الابنُ الكريم الأستاذ عبدالله بن عبدالعزيز بن حسين الملحق الثقافي - لم يدع وسيلة يستطيعها ، من وسائل إكرامي أنا والأستاذ الشيخ عبدالله الخيال إلا بذلها ، فقد تجول بنا في ضواحي المدينة ، بحيث شاهدنا أبرز معالمها ،

كاجلبيل الذي وضع فوقه الأتراك المدافع أثناء محاصرة مدينة فينا ، وشارع (تابور) الذي بلغته عساكرهم ، كما أزارنا بعض القرى النائية الجميلة ، وشاهدنا هناك القلعة التي حبس فيها (ريتشارد قلب الأسد) القائد المعروف في الحروب الصليبية ، فعوقب حين هزمه صلاح الدين بالحبس ، حتى مات في تلك القلعة التي تثير مشاهدتها من الذكريات ما يعصر القلب المأ وحننا حين يذكر المرء قوة المسلمين في ذلك العهد وضعفهم في عصرنا الحاضر . لنندع هذا لإيجاز ما أفضل به الابن الكريم وما أكثره ، فهو الذي عرّف الدكتور السمان بي بحيث يسر لي الحصول على ما اردت الحصول عليه من تلك المصورات ، كما أفضل - زاده الله فضلا وتوفيقا - بايصالها إلي . وبالأجمال فمهما عبرت عن شكره إزاء ما غمرني من فضله فلن يفي بحقه ، وفقه الله ورعاه .

### حمد الجاسر

[ الحواشي ] :

- (١) كلمة ليست واضحة وكأنها (خروج) .
- (٢) كذا والصواب (قبر أبي حميد) بالدال وهو المعروف الآن بقبر الشيخ حميد . و (نخل) وسيأتي .
- (٣) كذا الكلام ناقص ولعله (ليس فيها نبات) .
- (٤) كذا والصواب (لسوافي تسفي فيه ترابا دقيقا) - بالفاء - .
- (٥) «ذو النون أيوب : قصة حياته بقلمه» القسم السابع - ص : ٢٢ - .
- (٦) ولد في الموصل سنة ١٩٠٢ ، وذو النون من الأسماء المألوفة في تلك البلاد فهو لقب النبي يونس بن متى عليه السلام وهو من أهل نينوى التي هي الآن داخل عمران مدينة الموصل .
- (٧) اسماعيل عارف كان وزير الثقافة (أو المعارف) في عهد عبدالكريم قاسم ، وهو من رجال الجيش ، وكان على جانب كبير من دمائه الخلق ، وقد عرفته أثناء حضوري (مهرجان الكندي ومرور ألف عام على إنشاء مدينة بغداد) وقد صدر له حديثاً مؤلف عن (ثورة ١٤ تموز) أطراه الأستاذ ذو النون أيوب كثيراً .
- (٨) كذا بدون همزة في الأخيرة ، وبإثباتها في الأولى ، وكأنها مضافة بعد كتابة الأصل .
- (٩) كذا (وعاش) وبها ينكسر البيت ، وليست في الديوان ، وكأنها مضروب عليها .
- (١٠) في «ديوان رؤبة» - ٧٢ - : . . . لم يكسها دَرِيْسًا .
- (١١) بدون همزة .
- (١٢) كذا (يقال) .
- (١٣) كذا (عوضه شئ من شئ) ولعل الصواب (عوضه بشئ عن شئ) .
- (١٤) كذا (القرو) بدون همزة .
- (١٥) كذا والمراد (يُقَرُّهُهَا) .
- (١٦) كلمة لم تتضح في التصوير .

## « نصره الثائر » وملاحظات على تحقيقه

كتاب « نصره الثائر على المثل السائر » - تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (٦٩٦ - ٧٦٤هـ) تحقيق محمد علي سلطاني ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، تاريخ مقدمة المحقق ١٣٩١هـ / ١٩٧٠م .

١ - الثائر على « المثل السائر » هو ابن أبي الحديد ( عز الدين عبدالحמיד بن هبة الله . . . المدائني المعتزلي - ٥٨٦ - ٦٥٦ ) في كتابه « الفلك الدائر على المثل السائر » الذي ألفه سنة ٦٣٣ يَرُدُّ بِهِ على ضياء الدين نصر الله ابن الأثير .

ومع ان كتاب ابن أبي الحديد مُهِمٌ لدى تحقيق كتاب الصفدي ، وأنَّ المحقق رجع إليه ، وأحال عليه فإنه لم يتحدث عنه حديث الواقف عليه ولم يُعَيِّن الطبعة التي يجيل عليها ، ولم يُبَيِّنْ للقارئ ظروفها ، وهي ظروف سيئة من الوجهة العلمية . فهو يجيل - مثلاً - ص ١٨٧ في قوله : ( أما ابن أبي الحديد ، فقد أجابهُ عن دعواه - أي دعوى ابن الأثير - أنَّ الإنسان لا يحتاج إلى المنطق ، ولا إلى هذه العلوم ، في « الفلك الدائر » . . . ) .

يَضَعُ رقماً على « الفلك الدائر » يُقَابِلُهُ في الحاشية : في « المثل السائر » ٤٠/٤ ويجارُ القارئ بمثل هذه الإحالة على « المثل السائر » والمطلوب الإحالة على « الفلك الدائر » .

وما كانت هذه الحيرة لتقع لولا أمران : الأول أنَّ ناشِرِي « المثل السائر » دكتور أحمد الحوفي ودكتور بدوي طبانه ألحقا كتاب ابن أبي الحديد بكتاب ابن الأثير ، فجاء في الجزء الرابع من طبعتهما ( دار نهضة مصر ) مبتدئاً من ص ١٢ - والأمر عجيب ، ولكنه وقع .

الثاني : أن محقق كتاب « نصره الثائر » لم يعلم قارئه بطبيعة طبعة « الفلك الدائر » التي يجيل عليها ، ولو أعلمه لعرف أنَّ أيَّ إحالة على الجزء الرابع من « المثل السائر » بعد الصفحة ١٢ تعني الإحالة على « الفلك الدائر » .

ولياحظ أن الطبعة الأولى لـ « الفلك الدائر » كانت ( مطبوعة على الحجر سنة ١٣٠٩ هـ وعلى نفقة الميرزا محمد الشيرازي ) - وبالكتاب حاجة إلى أن يُطبع مستقلاً ، ( وقد طبع أخيراً . . . بناء على ملاحظة صدرت عن كاتب هذه الملاحظات ) .

٢ - الخطر في التأليف عن أدباء عصور متأخرة كالصفدي في القرن الثامن ألا ينظر إليه بحجمه الطبيعي فتُضْفَى عليه صفات ليست فيه ، كأن يُعدَّ صاحب موهبة في الأدب والنقد ( ص ١٠ ) !!

٣ - للصفدي مؤلفات كثيرة قال المحقق : ( وهاك ثبثاً أبجدياً بكتبه ) وتنظر في الثبت ص ١٢ - ٢٠ فإذا هو على حروف الهجاء ( الفبائي ) وليس أبجدياً ( أ، ب، ج، د، هـ . . . ) .

٤ - كان المحقق يُنصُّ على المطبوع من مؤلفات الصفدي . ولكنه لم يُنصِّ على طبع « توشيح الترشيح » .

٥ - ص ٢٦ « نشر المثل السائر » و« طي الفلك الدائر » لأبي القاسم محمود ابن الحسين الركن السنجاري المتوفى عام ٦٤٠ ، والكلام للحاجي خليفة في « كشف الظنون » ( ط ١٣٠١ ، ٣٧٥/٢ ، ٦٠٠ ) وحسناً فعل إذ نَبَّه في الحاشية وقال : ( ترجمته في « هدية العارفين » ٤٠٥/٢ ، و« معجم المؤلفين » ١٥٩/١٢ وفيه وفاته سنة ٦٥٠ هـ ) .

ومعلوم أن « معجم المؤلفين » متأخر ولا تعني فيه الـ ٦٥٠ هـ كثيراً ما لم تُؤيَّد بمصدر قديم . ولدى المحقق مصدر موثوق به ، نادر في بابهِ هو الكتاب الذي يحققه « نصره الثائر » للصفدي وفيه ص ٤٦ : ( . . . الإمام ركن الدين أبو القاسم . . . صنف . . . كتاباً يُرَدُّ فيه على ابن أبي الحديد ، وسماه « نشر المثل وطي الفلك الدائر » قلت : . . . هو محمود بن الحسين ابن الإمام أرشد الدين الأصبهاني الأصل السنجاري المولد . . . قرأ على السيف الأمدى وعلى ضياء الدين بن الأثير . . . توفي بدمشق في سادس شهر رمضان سنة خمسين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون . ومولده سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة . . . ) .



وأقل ما يعني هذا أن يعتمد المحقق على كلام الصفدي وهو يتحدث في مقدمته عن السنجاري ويقول في متن كلامه (السنجاري المتوفى عام ٦٥٠) .

٦ - يقول المحقق ص ٢٨ : (من الثابت لدينا حتى الآن ، أن كتاب «المثل السائر» في أوائل القرن السابع هو آخر حلقات السلسلة في كتب النقد العربية قبل العصر الحديث ، يَجْفُ بعده مدأد التأليف في هذا الميدان ، كما يبدو ، إلى أن يأتي الصفدي بكتابه «نصرة الثائر» حوالي منتصف القرن الثامن ، فكان هذا الكتاب بِرُوحِهِ الشفيفة ، ومنهجه السليم وما يبدو من ذوق صاحبه ، أكمل مصدر . . . ) .

نقع في الثناء على الصفدي بروحه الشفيفة مرة أخرى في أخطار الأحكام (الكريمة) على مؤلفين متأخرين كالصفدي !!

هذا إلى أن التأليف في النقد قد جَفَّ قبل ابن الأثير ، ألم يأت قبله الرازي والسكاكي (مع معاصرة ملحوظة) .

وقد جاء «المثل السائر» غريباً في السلسلة قبله وبعده .

٧ - يذكر المحقق ص ٣٦ من صعوبات التحقيق التي اعترضته الحصول على دواوين الشعراء الذين لهم دواوين يَمُنُّ يستشهد بهم الصفدي ، ومن ثم الرجوع إليها للمقابلة . ولكني رأيت يَنْسَى الرجوع إلى دواوين مطبوعة مُيسَّرة ، ومنها ما طبع في دمشق نفسها وضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية نفسه .

اذكر - هنا - منها - مثلاً - «ديوان ابن الخياط» فتيان الشاغوري ، الخالديان . . . الخ .

٨ - ص ٤٣ : (وكنت أَقْفُ على أطلالها عند المراجعة نادياً ، وأعصر في أذيالها حين المطالعة غالباً) .

ومعلوم جداً أن الصفدي كاتب سَجَّاع ، ويمكن إصلاح ما يرد من خطأ أحياناً بالاستعانة بالسجع نفسه ، وعلى هذا فلا بُدُّ من أن يكون نادياً : نادياً وتكون الجملة هكذا : وكنت أَقْفُ على أطلالها . . . نادياً . . . غالباً . . .

٩- ص ٥٧ : ( ولعل ابن الأثير ساعه فيما أورده من كلامه في « المثل » و « الوشي المرقوم » و « المعاني المبتدعة » وغير ذلك من نسبة المقامات . . ) .  
الترم المحقق شَرَحَ ما يَرِدُ في المتن والتعليق عليه . . وقد سَكَتَ هُنَا عن « الوشي المرقوم » و « المعاني المبتدعة » . ونقول : إنها - كما يفهم من السياق وبدلالة وجود « المثل » الذي هو « المثل السائر » . . أنها أي « الوشي المرقوم » و « المعاني المبتدعة » كتابان لابن الأثير . الأول مطبوع ، بيروت ، ثمرات الفنون ١٢٩٨ .

والثاني لم يصل لنا ، ولعله الذي يقصده ابن خلكان بقوله : « المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء » .

١٠ - ص ٥٧ « أبو إسحاق الصابي هو إبراهيم بن هلال . . . ( ت قبل سنة ٣٨٠هـ ) انظر الفهرست ص ١٩٩ » . .

وابن خلكان يقول : ( توفي يوم الاثنين وقيل يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلاث مئة (٣٨٤) ببغداد وعمره إحدى وسبعون وذكر . . . ابن النديم . . . في كتابه « الفهرست » أن الصابي المذكور . . توفي قبل سنة ثمانين وثلاث مئة . . وهذا الذي ذكره ابن خلكان عن ابن النديم موجود في الفهرست فعلا : ولكن المحقق لم يخرر الرواية الأولى (٣٨٤هـ) وهي مؤيدة في عشرات المصادر والمراجع : ديوان الشريف الرضي ، يتيمة الدهر ، ارشاد الأديب (معجم الأدباء) عن حفيد الصابي في تاريخه . . . زيدان ، الزركلي . . . !؟

إن رواية الفهرست لم ترد - في علمنا - إلا في « الفهرست » ! والرواية الصحيحة هي ٣٨٤هـ .

١١ - ص ٧٦ : ( ابن زيادة ) ويتكرر ٧١ و ٧٧ وهو « البغدادي » .

رأيت الدكتور محمد قاسم مصطفى - وقد قرأ النسخة قبلي وعلق على أوهام فيها - يصحح الاسم في الهامش الأيمن ويكتب بالخط الأحمر : ( زَبَادَة - ٥٩٤

يحيى بن سعيد) وقد أعطانا بذلك مفتاح التصحيح . ونخف إلى ابن خلكان ،  
حرف الياء ، يحيى : ( أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة  
الله بن قزغلي بن زيادة الشيباني الكاتب المنشي الواسطي الأصل البغدادي المولد  
والدار والوفاة . . . قال ابن الديبتي : سألت أبا طالب ابن زيادة عن مولده  
فقال : ولدت يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسة  
مئة . وتوفى ليلة الجمعة السابع والعشرون من ذي الحجة سنة أربع وتسعين  
وخمسة مئة . . . وَزَبَادَةُ بفتح الزاي وهو قطعة من الزَبَاد الذي تطيب به النساء  
والله أعلم ) .

حين ورد : ( ابن زيادة البغدادي ، ص ٧١ في كتاب له كتبه إلى الملك الناصر  
صلاح الدين ) .

عَرَفَ المحقق في الهامش بصلاح الدين وهو معروف جداً ، وأهمل ( ابن  
زيادة ) أي ابن زيادة - كما صار معلوماً وينظر الزركلي .

١٢ - لقد بذل المحقق جهوداً واضحةً لدى التعريف بالأعلام في الحواشي  
ولكن بين تلك الأعلام ما ليس به حاجة إلى تعريف كالمتنبّي ، وأفلاطون ،  
وأرسطو ، والأعشى وجرير والبحري وأبي تمام . . . وعثمان ، وعمر . . .

١٣ - في هامش ص ١١٧ : ( ابن الشبل البغدادي واسمه محمد بن  
الحسين . شاعر حكيمٌ له ديوان ( ت ٤٧٣هـ ) انظر « الوافي بالوفيات » :  
١١/٣ ، و « كشف الظنون » ٧٦٦ .

أ - قولنا : ( له ديوان ) يوهم القارئ أن الديوان موجود أو مطبوع ، وليس  
الأمر كذلك وإنما كان لابن الشبل ديوان ( وفقد ) .

ب - المصدر الطبيعي الذي يُحال عليه بشأن ابن الشبل هو العماد الاصبهاني  
« الخريدة » - قسم العراق . . . ثم إن وفيات الأعيان أقرب إلى القراء من  
« الوافي بالوفيات » .

١٤ - ص ٢١٧ : ( قيل : إن الثلج وقع مرّةً في بغداد ، فقال بعض شعراء  
ذالك العصر :

يَا صُدُورَ الْعِرَاقِ لَمْ نَرَ ثَلْجًا قَبْلَهَا حَلٌّ فِي نَوَاجِي الْعِرَاقِ  
إِنَّمَا عَمَّ ظُلْمُكُمْ سَائِرَ النَّاسِ ، فَشَابَتْ ذَوَائِبُ الْأَفَاقِ

مَرَّ عَلَيَّ هَذَانِ الْبَيْتَانِ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَهُمَا مِنْ شِعْرِ الْعَصْرِ السَّلْجُوقِيِّ - فِي الْقَرْنِ  
الْخَامِسِ - السَّادِسِ - ، وَرَبْمَا كَانَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ « الْمُنْتَظَمِ » لِابْنِ الْجُوزِيِّ .

١٥ - ص ٢٩٣ : ( فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ ) .

وَفِي الْحَاشِيَةِ : ( عَجَزَ بَيْتٌ لِلْمَتَنِيِّ ، وَصَدْرُهُ : خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ  
بِهِ ) ، وَرَوَايَةٌ أُخْرَى لِلصَّدْرِ : فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ - اذْكُرْهَا زِيَادَةً فِي الْفَائِدَةِ لَيْسَ  
غَيْرِ .

١٦ - ص ٣٤١ : ( فِي كِتَابِ « الْإِعْجَازِ فِي الْأَحْجَاجِ وَالْإِلْغَازِ لِلْحَظِيْرِيِّ )  
وَكَانَ ( الْحَظِيْرِيُّ الْوَرَّاقُ ) قَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ ص ٢٢٠ ، وَسِيرِدُ ص ٣٧١ وَلَمْ يُعْرَفِ  
الْمُحَقِّقُ بِهِ ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَثْبِتْ ص ٣٤١ هَذِهِ فِي فِهْرَسِهِ لِلْأَعْلَامِ وَلَمْ يَثْبِتْ كِتَابَ  
« الْإِعْجَازِ فِي الْأَحْجَاجِ وَالْإِلْغَازِ » فِي فِهْرَسِهِ لِلْكَتَبِ ، وَلِيَلَاحِظَ أَنَّهُ رَسَمَ  
( الْإِلْغَازَ ) هَكَذَا ( ! ) ، وَكَأَنَّهَا مَصْدَرُ الْغَزِّ عَلَى حِينِ هِيَ جَمْعٌ لَغَزٍ -  
كَالْأَحْجَاجِ - تَكْتُبُ أَلْفَ الْإِلْغَازِ هَكَذَا أ . . .

وَلَكِنْ عَرَفَهُ ص ١٢٠ عِنْدَمَا وَرَدَ بِاسْمِ ( الْحَظِيْرِيِّ الْوَرَّاقِ ) فَقَالَ : ( وَاسْمُهُ  
سَعْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْقَاسِمِ الْأَنْصَارِيِّ . أَدِيبٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ . لَهُ دِيْوَانٌ شِعْرٌ ) ت  
٥٩٨ هـ ) انْظُرْ « وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ » وَقَدْ أوردَهُ فِي فِهْرَسِ الْأَعْلَامِ وَكَأَنَّهُ شَخْصٌ آخَرَ  
غَيْرَ الْحَظِيْرِيِّ ذَلِكَ . . . هَذَا إِلَى أَنْ الثَّابِتُ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ هُوَ عَامَ ٥٦٨ - يَنْظُرُ  
ابْنَ خَلِّكَانَ ، وَالْعِمَادَ الْأَصْفَهَانِيَّ فِي « خَرِيدَةِ الْقَصْرِ » - قَسَمَ الْعِرَاقَ .

١٧ - ص ٣٦٢ : ( قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ غَانِمٍ الْمَعْرُوفُ بِالْغَانِمِيِّ . . . ) .

عَرَفَهُ الدُّكْتُورُ مَصْطَفَى جَوَادُ فِي حَوَاشِي كِتَابِ « الْجَامِعِ الْكَبِيرِ » لِابْنِ الْأَثِيرِ ،  
بَغْدَادَ ١٩٥٦ / ١٣٧٥ - ص ٢ .

« قَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي « الْأَنْسَابِ » : ( الْغَانِمِيُّ . . . هَذِهِ النِّسْبَةُ لِحَدِّ الْمُنْتَسَبِ إِلَيْهِ

تصحيح خطأ تاريخي :

## لا علاقة بين الوهابية الرستمية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

- ١ -

إذا كان المثل يقول : ( الناس أعداء ما جهلوا ) . فإن بعض الناس أيضاً أعداء ما خالف شهوراتهم وتعارض مع مصالحهم الشخصية .

والحكم الفصل فيما يجب أن ينطلق منه الفرد في رأيه وحكمه ، هو عرض الأمور على مصدر التشريع السماوي ، الذي لا يأتيه الباطل ، ولا يتطرق إليه الشك ، والاسترشاد بسنة الهادي البشير ﷺ .

والمسلمون في كل مكانٍ مأمورون - قبل انطلاقهم نحو وجهة نظر معينة في أمور

---

وهو الأديب محمد . . . من أفاضل عصره ، وديوان شعره سائر في الآفاق وهو من مداحي نظام الملك . . . » - فهو من أبناء المئة الخامسة وربما امتدّ به العمر إلى المئة السادسة . . له كتاب في البلاغة كما يفهم من كلام ابن الأثير عليه في « المثل السائر » . وله ذكر في كتاب الباخري « دمية القصر » وتوفى الباخري سنة ٤٦٧ . وفي هذا ما يمكن أن يقرب تاريخ الغانمي .

١٨ - ص ٣٨٥ : ( ومنهم من نظم « كُليّة ودمنة » ) .

كذا وردت كُليّة بضم الكاف والمعروف أنها بفتح الكاف .

١٩ - ص ٤٨٥ : ( « مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » لابن الجوزي . . . ) .

الصحيح : ( مرآة الزمان . . . لسبط ابن الجوزي ) إنه يوسف غزّ أوغلي ابن بنت عبدالرحمن ابن الجوزي .

بغداد : د/علي جواد الطاهر

العقيدة ، وكل ما له صلة بالدين ، وقبل القدح أو المدح – أن يرجعوا لمصدرَي التشريع في دينهم وهما : كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، فمن أتى بشيء يخالفها نُبذَ ، ومن سار وفقها قولاً وعملاً أُيدَ ونُصِرَ .

هذا حكم فيما يجب أن يكون عليه الفرد المسلم ، وهو الوعي والإدراك ، والتحليل والتأكد ، بحيث لا يكون إمعةً ينقل صدَى الآخرين ، وَيَسْتَعْلَهُ أعداء دين الإسلام وهو لا يدري ، فينشأ عن ذلك فرقة في الصف الإسلامي . مما يفرح الأعداء المتربصين بالمسلمين الدوائر .

وقصة بني المُصْطَلِق التي نزل بشأنها قرآن يُتلى حيث يقول جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ، فَتُصِحِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (١) فيها درسٌ عملي للفتنة المؤمنة ، التي تحرص على دينها ، وعلاقتها بإخوانها المؤمنين ، بأن تتوثق من كل إشاعة ترمي إلى خلخلة الصف ، وَبَدْرِ الشُّحْنَاء ، وإتاحة الفرصة للفرقة ، فما أكثر الأعداء الذين يحاولون الضرر بالمسلمين ، وإيجاد مبررات التخاذل ، لمباعدتهم عن حقيقة الإسلام وصفائه ، وإدخال أشياء على المسلمين في دينهم هي من جذور طقوس الديانة اليهودية والنصرانية التي أفسدت حقيقة تلك الديانات السماوية من قَبْلُ بما دخلها من تبديل في محاولة دؤوب لبثها في صفوف المسلمين عن طريق بعض عُبَادِهِمْ وَعِلْمَائِهِمْ .

وههدفهم في هذا أن يتساووا معهم في المعصية والمخالفة ، ليسهل بذلك النفاذ إلى المجتمع ، ثم عن هذا الطريق إدخال أشياء تُبَاعِدُ المسلمين عن الإسلام ، ومع الزمن والتساهل تتسع الشُّقَّةُ ، ويكثر البعد ، فيصبح الإسلام غريباً على أبنائه .

يروى عن سفيان الثوري ، ( ٩٧ – ١٦١ هـ ) رحمه الله أنه قال : من فسد من علماء المسلمين ففيه شبه باليهود الذين معهم عِلْمٌ ولم يعملوا به ، ومن فسد من عُبَادِ المسلمين ففيه شبه بالنصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال . نسأل الله السلامة والعافية .

ومن هنا جاءت نقاوة الإسلام في التشريع ، وصفاءه في العقيدة ، ووسطاً في العمل ، ووسطاً في القول ، ووسطاً في الاعتقاد ، وقمة في العلاقة مع الله ، وقد جعل الله أمة الإسلام وسطاً بين الأمم في كل شيء قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٢) .

فأمة الإسلام وسط بين رهبانية النصارى ، وغلوهم في عيسى عليه السلام اعتقاداً ، وفي عبادتهم بالضلال والجهل ، واتباعهم لرجال الكنيسة بدون فهم أو مناقشة . وبين تحايل اليهود وكذبهم ، وإدعائهم على الله جل وعلا ، وأنبياؤه عليهم السلام ، بما تصف ألسنتهم ، وتعمدهم الضلال والإضلال ، وإخفائهم للحقائق العلمية والعقدية في الديانة التي جاءتهم من عند الله على ألسنة الأنبياء والرسل ، من باب الافساد والمخالفة .

والتاريخ الإسلامي يشير إلى أن الجهل فشى في المجتمعات الإسلامية في نهاية الخلافة العباسية بعدما كثرت العُجْمَةُ ، وقل العلم ، وتأثر الناس بفلسفة الرومان ، وعلوم فارس والهند .

وقبل ذلك وفي أثنائه كان التأثير في أطراف الدولة أكثر ، حيث نشأت فرق كثيرة لها معتقدات متباينة ، ونماذج شتى في الاتجاه والهدف ، وضع بذورها اليهودي عبدالله بن سبأ الذي أسلم مخادعة حتى وجد فرصة ملائمة لبث روح الفرقة بين المسلمين ، في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ونشأت أول فرقة باسم الفرقة السَّبِيَّة وهو الذي أسسها .

وقد تحدثت بعض الكتب كـ « الملل والنحل » للشهرستاني و « الفصل في الأهواء والملل والنحل » لابن حزم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه وكتبه عن تلك الفرق ومعتقداتها ، وكيفية نشأتها ، وما تحالف فيه أهل السنة والجماعة ، ويمتاز ابن تيمية - رحمه الله - بالردِّ على بعض تلك الفرق ، والتنويه عن معتقدات أصحابها ، وأعمال البعض الآخر ، ومن يتتبع الحركات الفكرية العقدية الإسلامية في العالم الإسلامي ، منذ ذلك التاريخ ، يلمس هذا جيِّداً ،

حيث برز الصراع الفكري العقدي في المجتمع على أعقاب تعلق بعض المسلمين بفلسفة اليونان ، وعلوم فارس والهند .

والمجتمع الإسلامي لا يعدم وجود أناس يدركون ما تنطوي عليه تلك الأفكار، وما يندس في ثناياها من معتقدات ، وافدة على عقيدة الإسلام الصحيحة النقية ، فيصححون لمن حولهم ما أُدْخِلَ في بيئتهم ، وما يَرَادُ لعقيدتهم ، لأنَّ جميع الملل والنحل في الأرض تريد إضلال المسلمين عن دينهم الحق ان استطاعوا قال تعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ﴾ سورة البقرة آية ٢١٧ .

وهذه حكمة أرادها الله في صراع الحق بالباطل لتسترشد العقول ، وتفهم الأفتدة فيرجع للصواب من أراد الله به خيراً ، لأن الحق واضح بالدليل النقلي والعقلي . وهذا جزء من مهمات الدعوة والتوضيح التي حُمِّلَ بها بنو إسرائيل فتخلَّوْا عنها عنادا ومكابرة ، فكان لزاما على علماء المسلمين العارفين الخائفين من عقاب الله ونقمته ، الانبراء لدعوة الناس إلى المنهج المحمدي في العقيدة والعبادة ، وتصحيح مفاهيمهم العقدية حسبما أمر الله في كتابه ، ودعا إليه نبيه الكريم ، ثم ما سار عليه أصحابه ، ومن تبعهم باحسان امتثالا لأمر ، وتطبيقا في عمل .

ولا تعدم كل دعوة سليمة وصحيحة في كل زمان ومكان وجودَ أعداءٍ وخصوم ، أما عن جهل أو لتعصب شخصي ، أو لمآرب خاصة ، ومصالح ذاتية ( فالهوى يُعْجِي وَيُصِمُّ ) ، فيحرك تلك النوازع أمثال هاؤلاء ليشهروا السلاح في وجه الإسلام علانية أو بالاستتار ، فيلصقوا التهم ضد الدعاة المخلصين ، ويستعينوا بالكذب والافتراء ، لبلبلة الأفكار ، ثم بوضع الألقاب المنفرة لنزع الثقة من هاؤلاء الدعاة ، حتى يعمى الأمر على الغالبية العظمى من الناس ، وهم العامة الذين لا يقرأون ولا يبحثون .

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية التصحيحية التي نَبَعَتْ من وسط الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر ، في وقت كان المسلمون - لا في الجزيرة



العربية وحدها ، بل في كل مكان – أحوَجَ ما يكونون إليها ، لإنقاذهم من الجهل الذي ران عليهم ، وتصحيح مفاهيمهم في أمور العقيدة ، والعبادات التي أفسدها الجهل بأمور الدين ، والافتداء بعلماء يجهلون أمور دينهم ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق في قوله : « انما أخشى على أمتي العلماء المضللين الذين يفتون بغير ما أنزل الله فَيُضِلُّونَ وَيُضَلُّونَ » .

فقد جاءت دعوة الشيخ محمد لإزالة ما علق بتعاليم الإسلام من شوائب ، وتصحيح ما أدخل على التوحيد – وخاصة توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات – من مشاركة للمخلوق مع الخالق في صرف ما هو لله جل وعلا ، مقرونا بالمخلوق في العمل والاعتقاد ، وتعطيل أسماء الله وصفاته جل وعلا ، أو نفيها والسير خلف تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان .

فصار التوحيد – بأقسامه الثلاثة : الربوبية والألوهية ، والأسماء والصفات – مشوبا بما يُكدرُهُ ، حيث دخل عليها في المعتقد والعمل ما يصرفها عن حقيقتها ، نظراً للتأثر بالمعتقدات البعيدة عن المنهج الذي جاء به المصطفى ﷺ ، ثم الاقتداء بأصحابها بعد أن بهرهم القول ، وأعجبته المظاهر والدعوات ، لأمثال من قال الله فيهم : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ \* وإذا تولَّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴿ (٣) .

وما ذلك إلا لأن النفوس خَلَّتْ من القاعدة المكيئة ، وهو العلم والإدراك بما شرع الله لخلقته ، ومعرفة الحكمة من إيجادهم للحياة .

لقد نشأ عن ذلك الضعف العلمي نقص في الإدراك ، وتقليد للأمم الغالبة والمؤثرة ، فكثرت الطرق الصوفية التي بدأت برغبة دينية ، وحرصٍ على التَّبَتُّلِ والمحافظة على الإسلام ، فكانت بدايتها طيبةً ، وهدفها نبيل .

إلا أن الجهل ورغبة التوارث لهذه المكانة الاجتماعية التي جاءت باسم المنصب الديني قد جاء برجال لا علم عندهم ، ولا قدرة لديهم في فهم رأي الشريعة الإسلامية في كثير من الأمور ، وهذا ما كان يخشاه ﷺ على أمته .

ومن ينظر في إزالة الحجب ، ورفع التكاليف وأعمال المريدين عند أكثر الطرق الصوفية والاقطاب ، ويربط هذا بالغفران لدى النصارى ، ومكانة أصحاب الألقاب في الكنيسة ، وطقوس الميلاد وصكوك الغفران ، يَرَّ أن أحدهما استمدَّ من الآخر ، في هذه الجوانب ، وفي جوانب أخرى ،

ولكي يعود للإسلام نقاوته وصفائه من كل شوائب دخيلة عن جهل أو تقليد ، سواء من الديانة اليهودية أو النصرانية ، أو من جذور الجاهلية فإنه لا بُدَّ من الامتثال لأمر الله جل وعلا في مثل قوله سبحانه : ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٤) .

وإن علماء المسلمين العارفين بأمر دينهم — فهما حقيقيا — لهم الذين عليهم دور التوضيح والإرشاد ، والتوجيه والتبيين ، حسبما يأمرهم بهذا مصدرا التشريع في الإسلام : كتابُ الله وسنةُ رسوله الأمين ﷺ ، الصحيحة الثابتة التي خدمنا فيها علماء الحديث المعروفون ، وهذا ما يجب أن يعيه كل داعية ويهتم به كل عالم من علماء المسلمين .

وفي تاريخ الدعاة والمصلحين صفات مشرقة نتيجة اهتمامهم وانطلاقهم في دعوة الناس من ذلك النبع الصافي الفياض ، والمعين الزاخر الذي لا ينضب .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله واحدٌ من ذلك الجيش الذي انتهج طريقا يتفق مع رسالة الصفوة الأولى من التابعين للإصلاح والعمل ، فقد أدرك ما يعيش فيه مجتمعه من صوفية متطرفة ، رغم وفرة العلماء ، وماسار عليه أبناء جلدته من تعلق بالقبور التي لا تنفع ولا تضر ، وتبرُّك بالأحجار الجامدة ، ووضع للكلام في غير محله .

فكان الناس يتعلقون بتلك الجمادات طلبا للنفع ، أو دفعا للضر ، ونسوا أن الله هو النافع الضار القادر على كل شيء ، وأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم .

لقد شقَّ هذا الأمر عليه لما فيه من جرأةٍ على الخالق بصرف القلب والعمل إلى غيره ، مع أنه هو المنعم والمتفضل سبحانه بكل شيء .

ويمكن وصف حالة المجتمع الإسلامي في كل مكان ذلك الوقت ، وليس في نجد وحدها بما قاله المؤرخ الأمريكي ( لوثرود ستودارد ) بمثل هذه الكلمات :  
أما الدين فقد غشيتُه غاشيةٌ سوداء ، فألبستِ الوحدايةُ التي علمها صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات ، وقشورَ الصوفية ، وخلت المساجدُ من أرباب الصلوات ، وكثر عددُ الأدعياءِ الجهلاء ، وطوائفُ الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان ، يحملون في أعناقهم التعاويذ ، ويوهمون الناس بالأباطيل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، وزينوا للناس التماسَ الشفاعة من فناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فلو عادَ صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ، ورأى من كان يدعي الإسلام لَغَضِبَ .

هذه - كما قال الشيخ عبدالله خياط إمام جامع الحرم المكي الشريف - شهادة حق من عدو منصف ، لم يعرف عنه الدخول في الإسلام ، يصف واقع الإسلام والمجتمع الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري ، وما وصل إليه من الانحطاط والتدنِّي<sup>(٥)</sup> .

ويقول الأمير شكيب أرسلان عن هذا المؤرخ : لو أن فيلسوفاً من فلاسفة الإسلام أراد تشخيص حالة الإسلام في هذه القرون الأخيرة ، ما أمكنه يصيب الحزَّ ، ويطبق المفصل ، تطبيق هذا الكاتب الأمريكي ( ستداوارد ) .

ونجدُ والجزيرة العربية ، لم تكن تختلف عن ديار الإسلام في ذلك الوقت ، فقد تغلب الباطل على الحق في أكثر ديار الإسلام ، وكثرت البدع والخرافات ، فالعلماء موجودون ولكنهم لا يرشدون الناس للطريق الأقوم ، بل أضلُّوهم وأفسدوا عقائدهم .

وقد ذكر المؤرخان النجديان : حسين بن غنام الأحسائي ثم النجدي المتوفي عام ١٢٢٥هـ ، وعثمان بن بشر المتوفي عام ١٢٩٠هـ ، نماذج مما آلت إليه حالة

الناس في العقيدة والعبادة في البلاد الإسلامية والعربية ، وفي نجد بصفة خاصة باعتبارهما يعرفان الأمر عن كُتُب ، وعرفا واقع الناس ، فابن غَنَامِ الذي عاصر الدعوة من بدايتها وأدرك دورَ الشيخ محمد ومكانته في نقل الناس من حال إلى حال ، وتفانيه في سبيل الدعوة ، قد أحبَّ هذه الدعوة ، وأرخ لها ، وانتقل من أجلها من بلده الأحساء وسكن الدرعية حيث توفي فيها ، نراه في كتابه التاريخي يصف البلاد العربية عامة ونجدا بصفة خاصة ، ويضرب الأمثال بانحراف الناس إلى الوثنية بقبر زيد بن الخطاب الذي كان عليه قُبَّة ، وله مزار في بلدة الجُبَيْلَةِ قرب الرياض ، إلى جانب قبور وقباب أخرى لبعض الصحابة الذين قُتِلوا في حروب الردَّة ، ثم ذكر ما كان يصنعه الناس عندها من الشرك بالله من دعاء ونذور ، وتبرك وتوسُّلٍ من دون الله ، ولم يقتصر الأمر على القبور ، بل تعداها إلى الشجر والحجر والشياطين .

ونأخذ من تاريخ ابن غنام الذي عاصر الأحداث وسجلها فكره ، ومن تاريخ خَلْفِهِ ابنِ بَشْرِ الذي أدرك كثيرا من مَجْرِيَّاتِ الأحداث بأن نجدًا قد نالها ما نال غيرها من بلاد الإسلام ، من الانحراف والتدهور العقدي ، الذي يحركه أصحاب المصالح ومشايخ الطرق ، ومن هنا بدأت غيرة الشيخ محمد ، وتحركت همته للدعوة ، أداءً لرسالة المعرفة ، وتنفيذاً لما يَأْمُرُهُ به العلم ، حيث رأى أن العلم لا بُدَّ أَنْ يَقْتَرِنَ بالعمل ، وأنَّ من الأمانة توضيح ما خفي على الناس ، وما يجب عليهم عمله ، ويتحتم عليهم تركه ، من أمور هي من الإسلام تركت ، وأشياء أُدْخِلَتْ عليه ، وسارت في حياة الناس على أنها من مستلزمات العقيدة ، أو جُزء من أوامر الدين ، وهم لا يدركون الحقيقة .

ذلك أن العلماء المتفوعون أو الجهلة المتعلمون ، ورجال الطرق الصوفية ، قد لَبَّسُوا الأمر ، وأفسدوا المعتقدات ، وصرفوا الناس عَنِ الْفَهْمِ الْحَقِيقِيِّ لشرائع الإسلام ، ووجهوهم إلى ما يَحُلُّوْهُم في المكسب الدنيوي ، والاستعلاء في السيادة ، فكان يقينا أن تلقي هذه الدعوة التصحيحية السلفية جحوداً ونكراناً من المقربين العارفين ، وتوجسا وخيفة من الآخرين المتطلعين .